المطلوب تكاتف الجهود وليس محاولات الاقصاء:

رابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين وتحدي المرحلة القادمة

إياد كنعان*

■ لعل الاحداث الاخيرة التي عصفت برابطة الفنانين التشكيليين الاردنيين، على خلفية استقالة مجموعة من الاعضاء (المتنفذين) سواء داخل الرابطة، خاصة خلال سنواتها العشر الأخيرة، والتي افضت الى ما افضت اليه الرابطة الآن من تشتت وتشرذم للفن والفنان الاردني، او تنفذهم على مستوى الحركة التشكيلية الاردنية عبر اقترابهم من مصادر صنع القرار، والذين لا بد ان يتحملوا مسؤولياتهم (وأخص الاداريين والرؤساء السابقين على اقل تقدير)، تجاه ما آلت اليه الرابطة اليوم من تهميش وتشتيت وتضييع لحقوق الفنانين، وتفريط بالامانة، وسوء ادارة وانانية وشللية، واستهتار بالفن والفنان الاردني، ومن ثم تحميله اعباء مرحلة من التهميش والاقصاء والمحاربة، كل هذا (العهد العتيد) توج بأن ارتأى البعض هجر جسد الرابطة بعد ما أنهك من كثرة التجاوزات وسوء الادارة، والقفز بحركة (بهلوانية)، غير موفقة في تقديري الشخصي، الى جسد اكثر شبابا ورشاقة وفتوة، ذلك الجسد الذي لم تتضح ملامحه بعد.

تقف الرابطة اليوم امام تحد مرحلي حرج، فالانتخابات على الابواب. ايام قليلة تفصلنا عن الموعد المقرر للانتخابات، حيث يقف الفنانون التشكيليون الاردنيون امام تحد كبير، بكل ما تحمله من دلالة معنوية واخلاقية وابداعية حاسمة، خاصة بالنسبة لأولئك المدافعين عن الرابطة، بصفتها الوجودية والديمقراطية، باعتبارها احدى مؤسسات المجتمع المدني، وجزءا لا يتجزأ من الجسد الثقافي الاردني، وبصفتها الاعتبارية، كممثل شرعي ووحيد للفنانين التشكيليين الاردنيين داخل الاردن وخارجه، فالرابطة تمثل تلك المشروعية التاريخية للحركة التشكيلية الاردنية عبر موروث ابداعي يمتد لأكثر من خمسين عاما هو عمر الحركة التشكيلية الاردنية التي استيقظت في عشرينيات وثلاثينيات القرن المنصرم، منذ بدايات انشاء امارة شرق الاردن، ثم تبلورت فيما بعد على ايدي مجموعة من الفنانين الرواد الاوائل في خمسينيات وستينيات القرن المنصرم وما تلاهما.

فالمستقيلون راهنوا على خطاب اعلامي انتهج اسلوب التشكيك و(قلب الطاولة) بالتعبير الاعلامي الشائع، او اسلوب هدم البيوت على رؤوس من فيها بالتعبير (العسكري) الشائع ايضا.

سبق هذا الخطاب، بقصد او بدون قصد، تشكيك البعض بالفنان الاردني واهليته الابداعية، باعتبار الفنانين الاردنيين ليسوا الا مجموعة من (الهواة)، الذين يفتقرون الى التأهيل الاكاديمي والخبرة، مطلقين هذا الحكم على كواهله، دون التفريق بين الصالح والطالح في الحركة التشكيلية الاردنية، ودون مراعاة للاسماء الكبيرة التي رفعت لواء الابداع الاردني ليس على المستوى المحلي فحسب، بل على المستوى العربي والدولي ايضا، ودون الوقوف على الاسباب الحقيقية لتغيب الفنان الاردني وتهميشه عن ساحته الاردنية اولا، والعربية والدولية ثانيا، ورغم ما يتمتع به الفنان الاردني من سوية ابداعية عالية تضعه في مكانة متساوية وباستحقاق عال مع اقرانه في الوطن العربي، اذا لم نقل مع اقرانه على مستوى العالم، والشواهد على ذلك كثيرة.

كنا نتأمل من هؤلاء الوقوف على الاسباب الحقيقية لتقهقر الفنان الاردني، وتغيبه، هذا التغييب الذي هو اقرب ما يكون للمصادرة التي تمارسها بعض الجهات الخاصة والعامة على حد سواء، وبانتقائية غير واعية وغير مبررة ايضا، بحجة حماية الفن الاردني من الدخلاء، وباعتبار هذه الجهة او تلك هي وحدها الامينة المؤتمنة على الفن الاردني من الضياع او التضييع.

ثم جاء خطاب آخر ليشكك في اخلاقيات الفنان الاردني، او بتعبير ادق اخلاق (بعض الفنانين الاردنيين)، ولا ادري من هم هؤلاء البعض؟ وبعدم تمتع(هؤلاء البعض) ايضا، بالحد الادنى من السوية الابداعية والاخلاقية، و(تسرب مجموعة من الفنانين الذين لا يتمتعون بالحد الادنى من المستوى الاخلاقي والابداعي الى جسد الرابطة) على حد تعبيرهم، وكما قرأناه في بعض الصحف اليومية، ولا ادري اين كان هؤلاء عندما كانوا يشغلون مناصب ادارية ومفصلية حساسة داخل الرابطة، وفي تلك الحقبة التي شهدت ترنح الرابطة، قبل حالة الشلل التام الذي انتهت اليها الان، والذي نرجو ان لا تنتهي بالسقوط والموت التام والمدوي، لتنتهي في ادراج التاريخ وصفحات المدونات والكتب؟

هذا سؤال لا بد ان يجيبوا عنه لاحقا، بل اعتقد ان من حق الفنانين ان يحصلوا على تلك الاجابة ان عاجلا ام آجلا؟

اقول ان الانتخابات القادمة التي تنتظر الرابطة، هي تحدي لوعي الفنان وثقافته وادراكه لاهمية دوره الابداعي والاخلاقي الحساس والاساسي في سبيل رفعة المجتمع وتقدمه، عبر منجزه الابداعي والحضاري الرفيع، هذا الوعي الذي يتجسد بايمانه بأبسط حقوقه الديمقراطية والانسانية المتمثل بالانتخاب الديمقراطي الحر، هذا النهج الذي نعتبره الضمانة الوحيدة لتجاوز اعباء المرحلة الحالية والقادمة، بكل ما تحمله من تحد وجودي حقيقي، ليس لنا نحن في الاردن فحسب، بل هو تحد تواجهه المنطقة برمتها، وإن فشل الانتخابات المرتقبة هو فشل حقيقي للفنان التشكيلي الاردني، في الدفاع عن قناعاته وثوابته واصالته، المتمثلة في رابطة تجاوز عمرها عمر الكثير من الفنانين المستقيلين والاعضاء.

ليس المهم في هذه الدورة الاستثنائية في تقديري الشخصي، من سيكون الرئيس، ومن هم أعضاء الهيئة الادارية، ومن هم الفائزون ومن هم الخاسرون ايضا، فاما ان نكون كلنا رابحين او نكون كلنا خاسرين، وان مجرد التفاف الفنانين حول رابطتهم، وسعيهم الدائم لتحسين ادائها عبر الوسائل الديمقراطية المشروعة، وبما يضمن حرية النقد وابداء الرأي والاختلاف والنقاش، حتى ولو كان ساخنا احيانا، وحتى لو تحول هذا النقاش الى جدل دائم، فهذه حالة صحية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، تنقل الفنان من مرحلة التلقي السلبي الى مرحلة المشاركة والمسؤولية في صنع القرار، بل ان الفنان مطالب برفع صوته اذا ما وجد خللا في تلك المؤسسات المخولة بإدارة شؤونه، حتى لا يترك الحبل على الغارب لكل من هب ودب ليفسد مؤسساتنا التي هي منجزات وطنية، علينا حمايتها، ففي الاختلاف والاصوات المعارضة اثراء للموقف، وحماس وغيرة يشكر البعض على ابدائهما.

على الفنان ان يخرج عن صمته ازاء ما يمارس بحقه من تجاوزات ان وجدت، حتى اذا ما وجد من يقول لا! فلا يتهم بالخروج عن قواعد الاخلاق، تلك الاخلاق التي يجب ان تحثنا على الوقوف على الاعوجاج وتقويمه، مهما كان فاعله او الجهة التي تقف وراءه، وليس السكوت عنه والتستر عليه بحجة حماية مصالح شخصية، هذا كله ليس بدافع اثارة الشغب كما يحلو للبعض تسميته، بل هو حق دستوري ضمنه الدستور بما يخدم المجتمع ورفعته ورقيه.

ان السياسة التي اتبعها البعض، عبر نفي الاخر واقصائه والتشكيك به، سواء على الصعيد الاخلاقي او على الصعيد الابداعي، ليست السياسة المطلوبة الآن، بل المطلوب هو تكاتف كل الجهود، المطلوب هو ان يؤخذ بيد الصغير والكبير على حد سواء بما يخدم مسيرة البلاد، ومشروعها النهضوي الشامل بكل القطاعات الاقتصادية والابداعية والسياسية والثقافية الشاملة، فالتنمية لا تتجزأ، بل هي ثمرة تكاتف كل الجهود وفي شتى الميادين الخاصة والعامة، والفنان والمبدع هو شريك استراتيجي في التنمية واحد اعمدتها الرئيسية، وعلى الجميع تقديم الدعم اللازم له، وليس محاربته والتشكيك فيه، مهما حسنت النوايا او ساءت، ومهما اختلفنا في المرجعيات او اتفقنا عليها.

---

*فنان تشكيلي من الأردن

بانتظار السيدة بوش والحداد اللائق بإلكترا

علي كنعان*

■ يؤكد لبنان المقاوم، شعبا وحكومة ومقاتلين، أن لا وجود إطلاقا للرجال خارج حدوده في أي نظام عربي. وحسان بن ثابت الأنصاري، قبل مئات السنين، يقول عن أمثال هذه المخلوقات الجوفاء التي تتحكم بمقادير الوطن العربي ومصير عشرات الملايين من أبناء هذه الأمة المنكوبة برعيانها وعرابيها وتجار دماء أبنائها:

لا عيبَ بالقوم من طول ومن عِظَمٍ
جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ
كأنهم خشبٌ جوفٌ مكاسره
مثقّبٌ فيه أرواح الأعاصيرِ

هذا يحتم علينا أن نطرد هذه الأشباح من وعينا وذاكرتنا واهتمامنا لنولي سيدات الأمة جل اهتمامنا وأملنا "لعل وعسى...". وسيكون أمامي، في مقبل الأيام، وقت طويل لبحث هذه المسألة.

أتوجه، اليوم، إلى السيدة بوش أملا في أن تضع حدا حاسما لهوس زوجها وسعاره الدموي في إطالة هذا العدوان الجهنمي على لبنان وأطفال لبنان – نسغه الحي وعماد مستقبله المرتجى. لا شك أن السيدة تذكر ما فعلته كريستين في مسرحية يوجين أونيل "الحداد يليق بإلكترا". لقد قتلت زوجها – بطل الحرب الجنرال إزرا مانون– الذي يذكرنا بمصرع آغاممنون، قائد التحالف الإغريقي في استباحة طروادة وتدميرها.

لا أريد أن أستعرض هنا موجات الاعتداءات الغربية على الشرق بدءا من ذلك التاريخ السحيق، ولكني أرجو أن تكون السيدة بوش ما زالت تتمتع بشيء من الحس الإنساني والضمير المسيحي والنزاهة الأخلاقية لتقف ضد هذه المجازر المروعة التي ارتكبها زوجها المأفون بحماقة إجرامية لا تنسى ولا تغتفر. قد يبدو رجائي هذا ضربا من الجنون أو السذاجة أو التفاؤل المتهافت، لكن جنوني لن يبلغ درجة السعار الوحشي الذي يمتاز به إمبراطور البيت الأبيض.. ولن يكون من معدنه.

وإذا كنت أكره حكم القتل والإعدام حتى لأعتى مجرمي الحروب العدوانية من أمثال هذا المسؤول النازي المتوحش، فإني أتوقع من السيدة بوش أن تأمر بوضع قرينها في محجر صحي – كما فعلت يوم كان يعاني من الإدمان في مطلع شبابه. وبعد أن يتماثل للشفاء أو يخف خطره، أتمنى أن تضعه في قفص ليعرض في ساحات المدن، على امتداد العالم، بدءا من لبنان.. وهو محاط بصور ضحاياه.

يوم كتب أونيل ثلاثيته تلك في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين لم يحفل بالقدر الإغريقي الذي شغل معلمه أسخيلوس، بل ركز كثيرا على الأمراض النفسية وأحوال العشق والخيانة، وكان يفصله عن المكارثية العشواء ربع قرن من الزمن القادم. أما اليوم، وبعد أن اندمجت مصالح عتاة الصهيونية بغيلان شركات النفط وأصحاب مصانع الأسلحة في الولايات المتحدة، فقد تحولت تلك الأمراض إلى وباء عالمي جارف ستدفع كثير من الشعوب العربية والإسلامية والإفريقية والأميركية اللاتينية ثمنا باهظا وكارثيا له.. وطوال سنين، إذا لم تحدث في القارات الخمس معجزات شعبية مماثلة لهذه الملحمة البطولية التي يقدمها رجال المقاومة في الجنوب اللبناني ومن يقف وراءهم من هذا الشعب العظيم، في مختلف مجالات الرعاية والاحتضان والإيواء والإسعاف والتموين والعلاج.

لا تطمح هذه الكلمات إلى تقديم خطة متكاملة للسيدة بوش حتى تتمكن من لجم هذا الوحش القابع في بيته الأبيض أو الريفي، والمتسلل إلى غرفة نومها، كأن تقوم بحقنه بالمسكنات الضرورية اللازمة، فهي أدرى بحالته الهستيرية الراهنة، كما أنها تختزن معرفة تفصيلية واسعة بتاريخه المرضي. لكني أحاول تذكيرها بتلك المسرحية وبما فعلته مواطنتها الرائدة كريستين.

وأود هنا أن أشير إلى الفارق الإنساني الكبير والمسؤولية الأخلاقية المثلى بين ما فعلته كرستين، حماية لعشقها الآثم، وبين ما يمكن أن تفعله السيدة بوش لوضع حد لهذه الكارثة الجهنمية التي يصر زوجها على استمرارها والتلذذ بمشاهد الدم والدمار في تجديد فصولها من فلسطين إلى العراق إلى لبنان. إن بيروت لن تكون طروادة معاصرة، لأنها ستخرج كالفينيق من تحت الحرائق والأنقاض وأشلاء الضحايا والشهداء. ستلاحق هذا المجرم العالمي الكبير كما ستلاحق بقية المجرمين الأقزام، كطائر الصدى في أساطير العرب الباقية على امتداد الأجيال القادمة.

إذا كانت السيدة بوش أمّا حقيقية، امرأة أصيلة، إنسانا حقا، وليست زوجة إمبراطور معتوه.. ومتعاطفة معه، فإننا ننتظر منها أن تقوم بعمل إنساني وأخلاقي وبطولي كبير في سبيل إنهاء الكارثة. وإلا... فيا لبؤس أحلامي المعجونة بالأوهام! وسأبادر إلى الاعتذار من هوميروس وأسخيلوس وأونيل معا، لأن الشهامة الإنسانية في عصرنا لم تتبخر من رؤوس أسياد العالم – أشباه الرجال وحدهم، لكني أخشى أن تكون قد تلاشت حتى من رؤوس سيدات الصف الأول كذلك بفعل المعاشرة والجوار. في هذه الحالة، ليس لنا إلا أن ننتظر، وعسى ألا يطول الانتظار...

---

* كاتب من سورية

ملحمة لبنان

حسن طلب*

(الى: سعيد عقل، صاحب لبنان إن حكى
الى: فيروز، صاحبة لبنان إن غنّى
والى: المقاتل اللبناني البطل؛ صاحب لبنان إذا قاوم فانتصر).

لُبنانْ
لبنانُ هو المعنى
لبنانُ الآن هو المعنى
لبنان الآن هو المعنى والعُنوانْ
وهو المعجزةُ المتجسّدةُ الآن هنا
وأُعيدُ: هنا والآنْ
المعجزةُ الموصولةُ بين سماء الله..
وأرض الانسانْ!

(1)

يا أيّها العربيُّ في لُبنان: لا.. لا
لن تُركع الأهل الجنوبيّين..
غاراتُ البرابرة الحداثيّين..
ان هجم الدّخانُ عليك.. فلترسمْ هلالا
ارسمْ هلالا من دخان القصف..
يرتدّ الدخانُ..
على المُحيا منك: خالا!
ارسمْ هلالا واصْطبرْ
حتى يصير بمستْوى عينيْك ـ
أو أدناهُما ـ بدرا كمالا
ارسمْ هلالا قبل أن يستْأصل الشكُّ اليقين..
وقبل أن ترث العلومُ الدين..
قبل هلاك جند المؤمنين..
بفعل اشعال الطوائف طقسها الرمزيّ..
منذُ «النّهروان» و«مرج دابق».. تشهقُ النيرانُ..
حتى مصرع «الدّزى»..
فلترسمْ هلالا
انْ أعوزتْك ذخيرةٌ لقتال يومٍ قادمٍ
فارسمْ هلالا واتّخذْهُ قذيفة
أو فادّخرْهُ الى غد
وانحرْهُ يوم النصرِ قربانا..
الى المولى تعالى!
ارسمْ هلالا تستعيدُ به مسيرة «كربلاء»..
وسيرة «النفس الزكيّة»..
ان أردْت: ارسمْ هلالا
ارسم.. وقل للرسم:
ان تراب هذا الموطن اقترح الشهادة لي
فقلت: نعم.. وان دمي ـ
بهذا الممكن ـ اجترح المحالا!
ارسمْ هلالا من رماد حرائق المستْعمرات..
ارسم هلالا شائها
وبوسعه أن يستدير ويستطيل..
وأسمه: العبد الذليل!
وأهْده للقادة الزعماء.. أو لعواهل العرب
المعاتيه الكسالى!
ارسم هلالا في الهواء
لكى يطير الى مشايخ مركز الافتاء
أو لموظفيه..
ليقرأوا العيديْن فيه..
ويجعلوه تميمة جنسية لمن استطاع
ويعلنوا اشباع من جاع!
ارسم الآن الهلال..
وأسمه : بُضعا من الأبضاع
أو فرجا حلالا!
ارسم هلالا واحدا.. ان شئت..
أو مثنى.. ثُلاث.. الى رُباع!
ارسمْ هلالا كالحا!

واجعلْهُ مشْنوء البياض..
وأهده لفقيه «قاهرة المذلّ».. أو «الرّياض»..
وقلْ لهُ: فلتتخذْهُ مطيّة
واعقلْهُ.. واتّكل اتّكالا
ارسمْ هلالا واحدا
أو خمسة.. أو عشرة
أو ألْف ألف !
وادْعُهُ.. انْ شئت.. رمز حضارةٍ
أو آية.. وأداة تقويمٍ
أو استْنساخ تاريخ يردُّ على الختام البدْء!
أو جرما يُراوحُ في الفراغ مكانهُ!
أو محْض ظاهرة من الفلك المحيّر..
أو مجازا.. أو مثالا !
ارسمْ هلالا في مُحيط قُرى الجنوب..
وقلْ لهُ :
صلْ صولة فيما يليك من السُّهوب..
وجلْ مجالا
يا أيها العربيُّ في لُبنان..
لا يبقى جنوبٌ سالما
ان أنت ضيّعْت الشمّالا!

***

بيروتْ
بيروتُ قوتْ
بيروتُ ياقوتٌ وقُوتْ
بيروتُ ميقاتٌ وياقوتٌ وقوتْ

(2)

يا أيها العربيُّ في لُبنان.. طُوبى !
خرج الكلامُ من المعاني..
واخْتفي في المعْمعان..
أو انتفي فيما تبقّى..
من خرابات المباني..
أيُّها العربيُّ في لُبنان هبْك يمامة
أو عنْدليبا !
من أيّ جُرح هاجرتْ فيك الأغاني..
فاستْحالتْ دبْكة للموت..
ثم رصاصة
تحمي بها الوطن الحبيبا
يا أيُّها العربيُّ في لُبنان..
قد هجم الدُّخان عليْك..
فلترسمْ صليبا
ارسمْ صليبا أيها العربيُّ..
يرتدّ الدخانُ على المُحيّا منك: طيبا!
فخطيئةٌ أصليّةٌ
أن تترك الوحش ـ
المسلّح بالرّدى والمقت للأغْيار ـ
يغتالُ الحياة.. وينثني مُتباكيا عند الجدار!
ارسمْ صليبا
قد أعوزتْك ذخيرةٌ لقتال يومٍ قادمٍ
فارسمْ صليبا.. واتخذْهُ هراوة
واضربْ به.. حتّى تتوب عليْك أرْضُك..
أو تتُوبا!
قاتلْ عدوّك بانهزام بني أبيك..
وخذْ حذارك من ذويك..
فان في فيك التميمة..
والزبرجدة اليتيمة..
ان في يدك المصير المرتجى
والفجر.. والصبح العصيبا!
ارسمْ صليبا واحدا
وانقعْهُ في محلول جرحك..
دعْهُ يشرب علقم المأساة من شؤبوبها
حتى يذوبا!
يا أيها العربيُّ في لبنان..
مُتْ مُتيقّنا مما يحُوك أخوك..
أو عش مستريبا
واصمتْ قليلا أيها العربي..لا تسألْ
فلن تجد المُجيبا!
ارسم صليبا واحدا.. أو عدة
واضربْ عدوك..
لا تدعْ في أرضك الشماء عبريا يدنسُها
ولا تتركْ عريبا
يا أيها العربيُّ في لبنان..
لا يبقى شمال سالما
ان أنت ضيعت الجنوبا !

***

بيروتْ
بيروتُ توتْ
بيروتُ حانوتٌ وتوتْ
بيروتُ تابوتٌ وحانوتٌ وتوتْ

(3)

يا أيها العربيُّ في لبنان.. هيّا
قاتلْت في «صُور» وحيدا..
عشت في «صيْدا» شهيدا
وابنُ عمّك مات حيّا !
فارسمْ نبيّا
ارسمْ نبيّا يُشبهُ الطفل الذي:
قصفتْهُ اسرائيلُ في «قانا»
ولا تنْس الذهول إلهائل المتجمّد المسكون
في حدق العيون..
ولا البراءة في المُحيّا
ارسمْ نبيّا يُشبهُ البنت التي:
لم يقدرُوا أن ينشلُوا جثْمانها..
من تحت أنقاض البناية بعْدُ..
فلترسمْ نبيّا
ارسمْ نبيّا.. وانتظرْ شيئا
الى أن يستحيل الرسْمُ جنديّا سويّا
ارسمْ نبيّا.. واصطبرْ
حتى تراهُ بشكّة الحرب القشيبة..
قد تزيّا !
ارسمْ نبيّا من تراب قُرى الجنوب..
وسمّه: يحيى ليحيا!
أو سمّه ـ ان شئت ـ «حيدرة»
صلاح الدّين.. فخْر الدّين..
أو: حسن بْن نصر الله
بُوليفار.. جيفارا ومانديلا..
المهمُّ هو المسمّى ـ ليس الاسْم
ـ ارسمْ نبيّا!
ارسمْ نبيّا.. وامحهُ
لتكون أنت رسول نفسك..
أيها العربيُّ في لبنان..
أنت رسولُ نفسك..
ان أردت ارسمْ نبيّا
ارسمْ نبيّا وانسهُ
وقل: السّلامُ عليك يوم ولُدت..
يوم تموتُ..
يوم تقومُ وحدك ـ من رماد الحرب
ـ مُكتملا فتيّا !
ارسمْ نبيّا في محيط قُرى
الجنوب..
عساهُ يُرزقُ ـ
من مُقاومة العدوّ هناك ـ وحْيا
ارسمْ نبيّا واستمعْ للوحْى يهتفُ :
أيها العربيُّ في لُبنان: لا تتركْ
بأرضك أجنبيّا

***

بيروتْ
بيروتُ هُوتْ
بيروتُ لاهوتٌ
وهُوتْ
بيروتُ
رهْبوتٌ ولاهوتٌ وهُوتْ

(4)

يا أيها العربيُّ في لبنان.. واها
هجم الدُّخانُ عليك من كلّ الجهات..
وأنت كالأرْز الأشمّ:
وقفت.. لم تحْن الجباها
هجم الدُّخانُ عليْك..
وانعكستْ أساريرُ الوجوه على مرايا النار..
فاختلط البهيُّ بمن تباهى !
فارسمْ إلها
ارسمْ إلها.. والتمسْ بركاته
في ضيعة عند الحدود..
يُظلّها سجْعُ الحمام على سُطوح بيوتها
وترفُّ أسرابُ السُّنونو في رُباها
ارسمْ إلها.. واختبرْ آياته
من قبل أن تعْشى.. فتلتبسُ الأمورُ عليْك..
تشتبهُ اشْتباها !
هجم الدخانُ عليْك من كلّ الجهات..
فيا أخا السلّم اجْترئْ.. وارسمْ إلها !
وقل السّلامُ على الذي: حفظ السّلام..
ولا سلام على الذي أحْيا شعار:
(الحربُ من أجل السلام)!
ارسمْ إلها يا أخا الحرب العوان..
ويا أباها !
ارسمْ إلها.. وادْعُهُ
ليردّ للبشرية ـ الأنثى التي فجرتْ
ـ بكارتها !
وللمعمورة ـ الأم التى شابتْ ـ صباها
يا أيها العربيُّ قد هجم الدخان عليك..
من كل الجهات :
من العدوّ..
من الصّديق..
فكلّما عمّرت أرضك.. خرّباها
أو كلّما أنْبتّ فيها أرْزة
ليُغرد الدُّوريُّ والحسُّونُ حولك..
حارباك.. وحارباها
ارسمْ إلها في الجنوب.. وقلْ لهُ:
يا ربّنا لا تُمسك الشمس ـ القريبة منك
ـ حتى يفرغ الحاخامُ
من ذبح الغلام!
ولا تُعطّلْ ـ يا إله الكون ـ دورْتها
لكي يتسكّع الجنرالُ فوق بقية الجُثث
التي تحت الحُطام!
ولا تعطلهاْ الى أن يأزف الميعادُ..

كي يستأنف المتطرفون العنصريون (الجهاد)!
ويرسلوا بجراد أمريكا
لينسف بالدخان الخام.. والألغام
آخر نخلة في الشرق.. أو زيتونةٍ
أهدتْ الى الدنيا صباها!
يا ربُّ.. يارب البرية
اننا ندعوك: لا تُطلقْ ذئابك في القُرى
نرجوك يا ربّ الورى:
لو قد سألت ـ وأنت أعلمُ
عمّن اغتال الرضيع وأمّهُ ليلا بقنبلة!
ومن أهْوى بصاروخ على الشيخ المعمّر!
لو سألت عن الضحيّة:
من سباها؟!
يا ربُّ ـ جلّ جلالُ ربّ الخلق.. كل الخلق
ـ لا تتدخّل..
اتركْ دارة الشمس القريبة
منك..
يارب الأنام..
دع المجرّة حُرّة
حتى يُطلّ ـ بسيفه ـ الحقُّ
المُقدّسُ مرّة
من بين أكوام الجماجم و
العظام..
ليُفرغ السمُّ الذي اقتنت العقاربُ..
في شباها
يا أيها العربيُّ في لُبنان..
فلترسمْ إلها
ارسمْ إلها في الشمال.. وقلْ لهُ :
كُنْ ـ لو سمحت ـ على الحياد التامّ..
هل يارب: هذا شعبُك المختارُ..
أم هو شعبُك الجزّارُ؟!
كيف منحْت «يعقوب» البدار..
فكاد يصرعُ في الظلام إلههُ!
ياربنا ـ وتبارك اسمُك
ـ كيف ساويْت المُصارع.. والقنوت البارّ؟!
كيف يكون من حمل الأمانة
فاستْخار السلْم ـ انْ ترك العدوُّ لهُ الخيار
ـ كمنْ أباها!
يا أيها العربيُّ فلترسمْ إلها
ارسمْ إلها طيبا
ليصُدّ عنك أذى إله الحرب..
حين أتى يسوقُ أمامه :
جيْش البرابرة الحداثيّين !
فاحذرْ أيها العربيُّ..
وانتبه انتباها !
ارسمْ إلها طيّبا
وادفعْ ـ سلمْت ـ ضريبة الدّم عنْك.. أو عنْهُ..
انتقمْ ممّنْ جباها
ارسمْ إلها واحدا حول المدائن والضيّاع
وفي المزارع.. والبقاع
وداخل الدُّور القديمة..
في المساجد.. والكنائس.. والمصانع
في المتاحف.. والمدارس والقلاع..
وفي السُّهول وفي التّلاع..
ارسمْ إلها !
ارسمْ إلها أو نبيّا أو صليبا أو هلالا
ارسمْ.. وسمّ الرسْم عند تمامه: لُبنان..
لُبنانُ الذي وهب الحضارة للمكان
وأنْبت الأرْز المبارك.. والرّجالا
يا أيها العربيُّ في لبنان.. قد أحييْت من عدمٍ لنا
دين المقاومة الذي صدع الجبالا
يا أيها العربيُّ في لُبنان لا ترسمْ صليبا
أيها العربيُّ لا ترسمْ هلالا..
لا أيها العربيُّ.. لا.. لا

***

يا منْ تبحثُ عن معْنى
يا من تبحثُ عن عُنوانْ
لُبنانُ هو المعنى والعُنوانْ
فالآن.. هُنا في لبنان..
وليس سوى لبنانْ
ينتصرُ الحقُّ على القوّة..
ينصهرُ الحزبانْ
حزبُ الله.. وحزبُ الانسانْ!

---

* شاعر من مصر